كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

College of Sharia & Islamic Studies

مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

Journal of College of Sharia & Islamic Studies

نصف سنوية – علمية محكمة

Academic Refereed – Semi–Annual

ISSN 5545 – 2305

المجلد ٣٤–العدد ٢– خريف١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م

Vol. 34– No.2, 2016 A / 1438 H

"المنظومة العقدية والقيمية ودورها في ضبط معايير الأداء في الدولة والمجتمع"

تأليف

د. محمد عياش الكبيسي

أستاذ مساعد –قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية –جامعة قطر

ملخص:

تنبثق منظومة القيم الإسلامية من تلك الأسس العقدية التي تشكل قاعدة البناء الإسلامي: التوحيد والنبوّة والمعاد، وتتعاضد معها في تكوين صورة المجتمع المسلم وهويّته المميّزة له، وفق معايير تتسم بالثبات والوضوح والعموم إن الأسس العقدية التي تمثّل أساس الدين (الملّة) لا يمكن فصلها بحال عن الأسس القيمية التي تمثل الأساس التكويني والتقويمي للمجتمع (الأمّة) ومن ثمّ كان القرآن المكي ينزل بهما معا دون أي فاصل زمني وكما أن الدين فيه أصول وفروع، واختصاصات ومجالات متنوعة عقيدة وشريعة وأخلاقا، فإن القيم وهي المنبثقة من الدين فيها أيضا أصول وفروع، ومعايير مختلفة بحسب المجال الذي تتحرك فيه بدءا من القيم المعنية بأداء الفرد والأسرة حتى القيم المعنية بأداء المؤسسات المختلفة وصولا إلى القيم المعنية بأداء الدولة ومهامها الكبرى.

Abstract:

Islamic values system emerges from these nodal bases that make up the base construction of the Islamic Tawhid prophethood and recycled, and mutually supportive with the formation of the image of the Muslim community and its distinct identity to him, according to the standards characterized by stability, clarity and House of Commons.The doctrine foundations that represent the basis of religion (Almillah) can not be separated under any circumstances from the foundations of value, which

represents the construction bases and Osteopathic foundation of the community (Ummah) and then the Koran of Mecca come down with them together without any time interval. Just as the religion in which there are assets and branches, and the terms of reference and areas of a variety of theology , law and morals, the values which are derived from the religion have assets and branches and different standards depending on the domain that is moving through, starting from the values which are concerned with the performance of the individual and the family reaching to the performance of various institutions including the values concerned to the relevant performance values of the State and its major tasks.

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وآله وأصحابه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

يتجه الباحثون في الدولة المعاصرة إلى الدور الوظيفي الذي تطلع به الدولة تجاه المجتمع الذي انبثقت منه والأرض التي تشكلت عليها، وهذا الدور يأخذ منحى ثقافة العصر ذات الطابع المادي والنزعة الفردية، فيكون الحديث عن التنمية والإعمار متساوقا مع الحديث عن الحريات مثل؛ حرية المشاركة السياسية، وحرية التعبير وحرية العمل، مرورا بحرية المرأة التي حظيت باهتمام خاص في الثقافة المعاصرة.

بناء على ما تقدّم فإن أدوات التقويم لأداء الدولة لا يكاد يخرج عن تلك الوظائف، فالدول المتقدمة إنما تقدّمت لأنها تمكنت من الحصول على مكان الصدارة في مجالي التنمية والحرية، والعكس صحيح أيضا، والملاحظ هنا أنّ هذه المعايير – على أهميتها– قد أغفلت جوانب مهمة في الحياة الإنسانية ومنها على سبيل المثال:

أولاً: الفكرة الجوهرية التي يجتمع عليها الناس في المجتمع الذي انبثقت منه الدولة، هل هي فكرة دينية أو قومية أو مصلحية مادية؟ وما هي مسؤولية الدولة تجاه هذه الفكرة؟

ثانياً: الأداء الخارجي للدولة، حيث يلاحظ أن المعايير تتجه للوظائف أو الخدمات التي تقدّمها الدولة لمواطنيها، بينما يتم التغاضي عن سلوك الدولة تجاه المجتمعات البشرية الأخرى، حتى أصبح من المعهود في نمط الدولة الحديثة وجود نوع من الازدواجية، فهي بقدر ما تشجّع الحريات في مجتمعاتها تمارس القمع وتشجع الأنظمة المسؤولة عنه في المجتمعات الأخرى، وهي كذلك بالقدر الذي تعمل فيه على تحقيق مستوى معيشي أفضل لمواطنيها تمارس دورا كابحا لأي عمل تنموي في المجتمعات الأخرى، وذلك لحسابات معيّنة فيها قدر كبير من الأنانية وقدر ضئيل من الأخلاق والشعور الإنساني، ثم هي في كثير من الأحيان تقدّم صورة أخرى مختلفة تماما عن صورة المجتمع الذي تحكمه، ومن هنا تجد التناقض الحاد مثلا في صورة الغرب لدى الإنسان الشرقي، فالغربي الذي ينام الليل إذا رأى كلبا مجروحا أو قطّة مكسورة تراه

يمارس أشد أنواع الوحشية في سجن أبي غريب وغوانتنامو! إنها حالة من تصادم القيم بين الدولة والمجتمع.

إن الدولة الحديثة رغم تحقيقها لنجاحات كبيرة في أكثر من مجال لكنها لحد اللحظة لم تتمكن من تحقيق السعادة للمجتمع البشري، وصارت العلاقة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة شبيهة إلى حدّ ما بعلاقة الشعوب بحكوماتهم المستبدّة، فحينما استأثرت الحكومات بالسلطة والمال استعبدت مواطنيها، وحينما استأثرت الدول المتقدمة بالقوة والمال استعبدت الدول والمجتمعات الضعيفة والفقيرة، وكما أن الحكومات تتعرّض بين الفينة والأخرى لهزّات داخلية نابعة من شعور الناس بالظلم، والربيع العربي مثال على ذلك، فهكذا تتعرّض الدول الكبرى لموجات من العمليات العنفية الانتقامية كحالة من الاحتجاج على حالة الظلم والتحكّم العالمي.

هذا البحث من شأنه أن يعالج هذه الجوانب التي لم تحظ بالاهتمام الكافي في الثقافة المادية السائدة والسياسات العالمية المعاصرة، وذلك وفق منظومة معايير تبدأ من ذات الإنسان وشبكة علاقاته المتنوعة وتطلعاته الكبرى في تحقيق السعادة والحياة الأفضل.

إن منظومة العقائد والقيم الإسلامية لها منهجها العملي في تكوين المجتمع الذي تسود فيه معايير أخرى مختلفة إلى حد كبير مع منظومة المعايير الحاكمة في السياسات والعلاقات الدولية والمجتمعية المعاصرة.

إنها محاولة لتقديم رؤية جديدة تنطلق من فلسفة كلية للإنسان والكون والحياة، لعلّها تكون لبنة في بناء الواحة التي يجد الإنسان فيها أمنه وسكينته وطموحه في الحياة الكريمة والسعيدة.

تعريف بالمنظومة العقدية والقيمية: العقيدة في اللغة من الفعل عقد، والعقد: الشدّ وهو نقيض الحل،[١] وأما القيمة فهي ثمن الشيء، وجمعها القيم،[٢] وقد تأتي بمعنى: ثبات الشيء ودوامه [٣]، وتأتي كذلك بمعنى الاعتدال والاستقامة [٤] ، ولاشك أن مادة (ق و م) تتسع لهذه المعاني ومزيد .وقد جاء في الحديث: (قالوا يا رسول الله: لو قوّمت لنا)[٥] بمعنى : لو حدّدت لنا قيمة السلع.

(١) لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، ج٤ ص٢٩٠، مادة (ق و م)، دار عالم الكتب/ الرياض سنة ٢٠٠٣.

(٢) لسان العرب ، ج ٨ ص ٤٠٢ .

(٣) موسوعة نضرة النعيم، صالح بن حميد و عبد الرحمن ملوّح، ، ج ١ ص ٧٧، ط٥، دار الوسيلة/ جدّة.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٩ ص ١٠٢ تحقيق مصطفى السيد وآخرين، ط١ دار عالم الكتب، الرياض.

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ج٣ ص٨٥، رقم الحديث ١١٨٢٦، مؤسسة قرطبة/ مصر د ت.

إن الصلة اللغوية بين المفهومين قائمة، فكلاهما يحمل معنى الثبات والاستقامة، وكلاهما يوحي بالأهميّة والأولية.

أما في الاصطلاح، فإن مفهوم العقيدة يتّجه نحو أصول الدين وأسسه وقواعده الكبرى، ولذلك يعبّر عنها بالإيمان وهو المصطلح المعروف في القرآن والسنّة والمأثور عن السلف، كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث جبريل المشهور (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه)[١] وهذا الإيمان هو بلا شك أساس العمل ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[٢] ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[٣]، وتعريفات العلماء للعقيدة مهما اختلفت ألفاظها فإنها لا تخرج عن هذا المعنى،[٤] وإن كان مصطلح (العقيدة) نفسه حادثا، شأنه في ذلك شأن علوم الإسلام الأخرى كالفقه وأصوله وعلم العلل والجرح والتعديل.

(١) صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج١ ص٣٧، رقم الحديث ٨، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، د ت.

(٢) سورة العصر ٣.

(٣) سورة الزمر/٦٥.

(٤) العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، محمد عياش الكبيسي، ص ٢٤ – ص ٢٦، دار الحسام/ بغداد ١٩٩٥.

أما القيمة فهي مصطلح حادث لم يرد له استعمال في تراثنا بمعناه المعروف اليوم، وإن كان قد استعمل بمعنى الثمن أو المعيار الثابت في كثير من العبارات والأحكام الشرعية، والمهتمون بهذا الفنّ قد ذكروا له تعريفات كثيرة، منها:(القيمة مقاييس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية)[1] ومنها: (القيمة معيار اجتماعي ذو صيغة انفعاليّة قوية وعامّة)[2] والملاحظ في أغلب هذه التعريفات أنها تتفق على عناصر محددة وهي:

أولاً: المعياريّة، فالقيمة لا تسمّى قيمة إلا إذا كانت منضبطة ودقيقة وصالحة للقياس، وذلك بخلاف الانطباعات والانفعالات النفسية ونحوها.

ثانياً: الاجتماعية، إذ هي معايير يحكم بها المجتمع بشكل عام وفق ثوابته ومبادئه وعاداته وتقاليده، بخلاف الأحكام التخصصية كالفقه والقانون والطب والكيمياء والفيزياء ..إلخ فكل هذه الأحكام لا تعدّ ضمن المنظومة القيمية المجتمعية إلا إذا تبنّاها المجتمع وحوّلها من حكم تخصصي إلى حكم اجتماعي، ومثال ذلك إذا أصبحت المخالفة المرورية عيبا إضافة لكونها جنحة قانونية، فهناك فرق بين القانون الذي تسنّه المؤسسة التشريعيّة في الدولة وبين القيمة المجتمعية أو (القانون

(١) فلسفة التربية الإسلاميّة، ماجد عرسان الكيلاني ص٢٩٩، دار المنارة/ جدّة، ط١، د ت.

(٢) علم النفس الاجتماعي، فؤاد البهي ص٩٤، دار الفكر العربي/ القاهرة، ١٩٥٤.

الاجتماعي) وهو في العادة قانون غير مكتوب لكن له صفة إلزامية يصعب التفلّت عنها.[١]

ثالثاً: العموميّة، إذ هي معايير يستند إليها المجتمع بروحه وضميره الجماعي، بخلاف التصورات والسلوكيات الفردية.

وحين نقول: القيم الإسلامية، فلا شك أننا نقصد تلك المعايير التي اكتسبها المجتمع المسلم من ثوابته الدينيّة،[٢] ولكنه أضاف إليها نوعا من الحماية الاجتماعية التي تمنع الآحاد من انتهاكها أو تجاوزها، بمعنى أنها أصبحت معيارا اجتماعيا لسلوك الأفراد والجماعات وليست مجرد أحكام دينية موكوله إلى مستوى تديّن الشخص.

أما مصطلح (المنظومة) فإنه يعني أن تلك الثوابت الدينية والقيم المنبثقة عنها مربوطة بخيط ناظم يجمعها وينسّق بينها ويرتّب أوليّاتها وأولويّاتها، في ليست أحكاما مقطّعة، أو تصورات متباعدة، إنها أشبه بعمليّة البناء المتكامل، جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: (المنظومة: مجموعة أفكار ومبادئ مُرتبطة ومنظّمة)[٣]، يقول الدكتور سيف الدين عبد الفتاح: (القيم تأسيس لرؤية كلية للعالم تجد مجالاتها في تأصيل رؤية

(١) ينظر دراسات في الضبط الاجتماعي، د فاروق محمد العادلي،ص ٦٢-٦٣، دار الكتاب الجامعي/ القاهرة ١٩٨٥.

(٢) ينظر المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم، مروان ابراهيم القيسي، دورية دراسات العلوم الإنسانية/ الأردن،مج٢٢ ع٦ ص١٢.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، مادة (ن ظ م)، عالم الكتب / القاهرة ٢٠٠٨.

كلية توحيدية للكون والإنسان والحياة)[1] ويقول في المنظومة القيمية الإسلامية خاصّة: (القيم إذن سارية في البنيان المعرفي للرؤية الإسلامية، وإن كل عنصر من عناصر بناء الشريعة يسري فيه القيم أو يعبّر عن قيمة)[2] .

إنها إذاً ليست كما يتبادر لأذهان البعض أنها سلوك أخلاقي معيّن، أو صفات حميدة يتصف بها الطيّبون من الناس بطريقة تلقائية وفردية، إننا نتكلم عن معنى أدقّ وأشمل في الوقت نفسه، إنها المعايير الكلية التي تحكم سلوك الفرد والمجتمع والدولة، والتي يتوافق عليها المجتمع بحسب خبرته وثقافته وتربيته.

تعريف بالدولة والمجتمع:

الدولة من التداول ورجوع الشيء وعاقبته (تقول: قد رجعت الدولة على هؤلاء) و(كان المغنم دولا: جمع دولة وهو ما يتداول من المال)[3] وأما في الاصطلاح فهي اليوم أشهر من أن تعرّف بعد أن توزعت الكرة الأرضية كلها على دول وحدود لا تكاد تجد شبرا منها لا يقع تحت سلطان ودولة، وإنما جاءت التعريفات في الغالب

(١) مدخل القيم: الإشكالية ومحاولة التأصيل، سيف الدين عبد الفتاح، ص ٢٣، مجلة المسلم المعاصر، مج٢٣ ع٨٩ ١٩٩٨.

(٢) مدخل القيم ص١٧.

(٣) لسان العرب، مادة (دول).

بذكر عناصرها ومكوّناتها، كأن يقال مثلا: الدولة: أرض وشعب وسلطة وسيادة،[١] أو هي: (مجموعة من الأفراد الذين يقيمون على أرض محددة ويخضعون لتنظيم سياسي وقانوني واجتماعي معيّن تفرضه سلطة).[٢]

اتضح من خلال تعريف الدولة ما المقصود بالمجتمع أيضا، فهو حقيقة ليس سوى مجموعة من الناس الذين يعيشون على أرض واحدة سواء أكان منظما أم لا، يخضع لسلطة القبيلة أو الدولة أو لأي جهة أخرى كسلطة رجال الدين مثلا، جاء في اللسان: (جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعا وجمّعه وأجمعه فاجتمع)[٣]

وقد اتضح أيضا علاقة الدولة بالمجتمع، فهي ليست سوى عملية تنظيم ملزمة لشؤون المجتمع، أو هي الإطار السياسي له، وهي نوع من الاستجابة الطبيعية لتطوّر المجتمعات البشرية، وتحوّلها من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات المعقّدة أو المنظمة.

وهذه العلاقة بين الدولة والمجتمع الذي انبثقت منه تأخذ في العادة أشكالا كثيرة بحسب طبيعة المجتمع ووعيه وقوّته من ناحية، وبحسب طبيعة السلطة ومرجعيّتها ومصدر قوّتها وأدوات تحكّمها،[٤] ويذكر الدكتور هشام الطالب صورا مما يسمّيه

(١) ينظر المبادئ الأساسية للعلاقات الدولية، د سعيد محمد باناجة، ص٢١، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٩٨٥ .

(٢) مبادئ علم السياسة، د نظام بركات، ود. عثمان الروّاف، ود. محمد الحلوة، ص١٤٢، مكتبة العبيكان/ الرياض، ١٩٩٩.

(٣) لسان الميزان، مادة (ج م ع)

(٤) ينظر مبادئ علم السياسة ص١٤٤-١٤٩.

أنماط القيادة، منها: القائد المستبد، والمستبد الطيب (الحكم الأبوي)، والقائد الشوري الديمقراطي، والقائد الليبرالي.[١]

من المفيد في هذا البحث توضيح الإشكال الذي يرد عادة في تصوّر علاقة الدولة بالمجتمع في المنظور الإسلامي، حيث يتم في بعض الأحيان استدعاء النمط المعهود للسلطة الدينية في التاريخ الأوربي "فالدولة وجدت تحقيقا لإرادة الخالق الذي أوجدها واختار الملوك والأباطرة ليتولوا زمام الأمور في الدولة تنفيذا للإرادة الإلهيّة، لهذا فإن سلطة الحكام اعتبرت مقدّسة كما أن طاعتهم المطلقة كانت واجبا دينيا"[٢] والحقيقة أن الإسلام لا يعترف بالسلطة المقدسة، والحكومة في النظام الإسلامي تمثل الأمّة ولا تمثل الله، تمثل الأمة لأنها إنما تستمد شرعيتها من بيعة الأمة وشوراها وليست تنصيبا إلهيا، وهذا نص قوله تعالى في أمر المسلمين وشأنهم العام ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [٣] "فسلطة الحاكم تمنحه إياها الأمة وليس بتفويض إلهي، وعلى هذا الأساس تم اختيار أول خليفة في سقيفة بني ساعدة، وعلى هذا تم اختيار الخلفاء الراشدين من بعده" [٤] يقول الماوردي –رحمه الله–: (فإذا اجتمع أهل العقد

(١) دليل التدريب القيادي، د هشام يحيى الطالب، ص٥٦، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٩٩٥.

(٢) مبادئ علم السياسة ص١٤٤.

(٣) سورة الشورى ٣٨.

(٤) الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة ص٤٨٩، د حسن محمد عيسى عبد الظاهر وآخرون، جامعة قطر ٢٠٠٦ ط٢.

والحل للاختيار تصفّحوا أحوال أهل الإمامة الموجودة فيهم شروطها فقدموا للبيعة منهم أكثرهم فضلا وأكملهم شروطا ومن يسرع الناس إلى طاعته ولا يتوقفون عن بيعته...وإن امتنع من الإمامة ويجب إليها لم يجبر عليها لأنها عقد مراضاة واختيار لا يدخله إكراه ولا إجبار).[١]

الأسس العقديّة لمعايير الأداء

إن الأسئلة الكبرى التي نشأت مع نشأة الإنسان، وخطت معه في خطواته الأولى على هذه الأرض هي التي تشكّل أسس العقيدة الإسلاميّة ذاتها، والتي هي أساس التصورات الإسلامية الأولى للكون والحياة والإنسان.

إن أولى أسئلة الإنسان كانت عن سرّ وجوده؛ من أوجده؟ وما الغاية من وجوده؟ وإلى أين المصير؟ ماذا قبل الحياة وماذا بعد الممات؟

إن مبحث **التوحيد** المتضمن لإثبات وجود الخالق -تبارك وتعالى- ووحدانيّته في الخلق والملك والأمر والنهي والعبادة والطاعة وأسمائه وصفاته[٢] (الربوبيّة والألوهيّة

(١) الأحكام السلطانية، علي بن محمد البصري البغدادي الماوردي، ص٧-٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٩٨٥.

(٢) ينظر المحكم في العقيدة، محمد عياش الكبيسي ص٧٧-٨٢، ط١ /أعلام للفكر والثقافة/ قطر.

والأسماء والصفات)[1] شكّل الركيزة الأولى في العقيدة الإسلامية، وفيه الجواب المفصّل والصريح عن تساؤل الإنسان : من الذي أوجدني وأوجد كل هذه الحياة؟

أما مبحث **النبوّات** والرسالات ففيه الجواب عن رسالة الإنسان في هذه الحياة، والغاية من خلقه، إنه مبحث المنهج الذي يحدد مسار الإنسان ووظيفته التكليفيّة ومثله الأسمى في كل ذلك ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [2].

أما مبحث **المعاد** والحياة الآخرة بما فيها من حساب وثواب وعقاب، وأحوال مختلفة وأهوال، وجنّة ونار، فهذا كلّه إجابة لتساؤل الإنسان الملح والقلق: أين المصير؟ إنه الجواب الذي يحمّل الإنسان مسؤولية مصيره قولا وعملا واعتقادا، إنه الدافع الأكبر لشعور الإنسان بجديّة الأمر وعظم مسؤوليّته ومن ثم تكوين الرغبة في الأداء الأكل والعمل الأفضل.

(١) تقسيم التوحيد على هذه المعاني الثلاثة شائع في كثير من كتب العقيدة، يقول ابن أبي العز الحنفي في شرحه على العقيدة الطحاوية: (التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها الكلام في الصفات، والثاني توحيد الربوبية وبيان أن الله وحده خالق كل شيء، والثالث توحيد الإلهية) شرح الطحاوية، ص٢٧، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف/ السعودية/ ١٤١٨ هـ، وينظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص١٦، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / قطر ٢٠٠٧.

(٢) سورة الأحزاب ٢١.

هذه هي أسس العقيدة الإسلاميّة، وكل ما عداها إنما هو تفصيل لها، وتفريع عنها، وهي أسس مرتبطة بحياة الإنسان ووظيفته، وصياغة نظرته وتصوّراته الكبرى عن الكون والحياة.(١)

إن هذه الأسس هي التي صنعت المجتمع المسلم بهويّته المميّزة وفضاءاته الثقافية والحضاريّة والسياسية، وكل المفاهيم الأخرى كالأمة والدولة والخلافة إنما انبثقت من هذه الأسس، وهذه هي جوهر عقيدة الاستخلاف(٢)﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٣) ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (٤) ، وأي منظومة معايير لأداء الأفراد والمؤسسات لا ينبغي أن تنفصل عن هذه الأسس، لأنها ستكون غريبة عن هوية المجتمع وثقافته وشبكة تصوراته التي تمثل القواسم المشتركة لنسيجه ووحدته.

إن البعد الثقافي يبقى هو المحدد الأساس لطبيعة المجتمع وطبيعة الدولة التي يريدها المجتمع مهما طغت القيم الأخرى، (٥) بل حتى في في العلاقات الدولية لا زال

(١) ينظر المحكم في العقيدة، محمد عياش الكبيسي ص٢٠-٢٢.

(٢) توسّع صديقنا الدكتور عبد الجبار السبهاني في شرح معنى الاستخلاف وصلته بالمجتمع في بحثه للماجستير (الاستخلاف والتركيب الاجتماعي في الاسلام) وقد نشرته دار وائل/ عمّان ٢٠٠٣.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة الحديد ٧.

(٥) ينظر دراسات في الرأي العام مقاربة سياسية، د حامد عبد الماجد، ص٢٤، مكتبة الشروق الدولية، ط١ ٢٠٠٣.

التمايز الثقافي حاضرا بقوّة، وعلى أساسه مثلا يتم استبعاد تركيا من المنظومة الأوربية، مع أنها رافد كبير لهذه المنظومة في مجال التنمية والسوق المشتركة.

الأسس القيمية:

إن الأسس القيمية في الإسلام وإن كانت منبثقة من الأسس العقديّة ومتأخرة عنها من حيث الرتبة والتسلسل الطبيعي والمنطقي إلا أنها اقترنت بها اقترانا وثيقا منذ اللحظات الأولى لبداية الوحي، يقول الدكتور عبد الحميد مدكور: (ظل الرسول طوال السنوات الأولى من دعوته يوجه الجانب الأعظم من اهتمامه إلى توضيح أصول العقيدة وأصول الأخلاق)[1]، والذي يقرأ القرآن المكي يلمس هذا بمنتهى الوضوح، ولننظر في هذه الآيات:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ . فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ . فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ . وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[2] لقد جاء الحديث عن التكافل الاجتماعي واحترام اليتيم والمسكين مقترنا بالدين والصلاة.

(١) دراسات في العقيدة الإسلامية، عبد الحميد مدكور، ص٥٤، دار الثقافة العربية ٢٠٠٠. مع ملاحظة أن القيم أعم من أصول الأخلاق، وأن الدعوة الإسلامية بدأت بالعقيدة والقيم متضمنة الأخلاق.

(٢) سورة الماعون كاملة.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (١) وهنا جاء الحديث عن عتق العبيد وصلة الأرحام ومساعدة المسكين والتواصي بالرحمة الشاملة كل ذلك مقترن بالإيمان بالله واليوم الآخر.

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ (٢) التذكير بحقوق البنات خاصة، وتخويف الظالمين لهنّ بيوم الحساب.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٣)تأكيد لأهمية العدل ورعاية أموال الناس، والتحذير الشديد بالعقاب الأخروي لمن تجاوز أو تعدّى.

إن مثل هذه الآيات لا تكاد تحصى في كل القرآن المكي، وهذا دليل قاطع على تعاضد العقائد والقيم في صناعة المجتمع المسلم بحيث لا تتأخر الثانية عن الأولى، ولا تتقدم الأولى على الثانية، ذاك لأن العقيدة تبني الدين، والقيم تبني الرأي العام في المجتمع، بمعنى أنها هي التي تقرّب واقع المجتمع من الصورة الكليّة التي يريدها الدين.

(١) سورة البلد ١٢-١٧.

(٢) سورة التكوير ٨-٩

(٣) سورة المطففين ١-٦

إن التعاضد أو التلازم بين العقائد والقيم[١] إنما هو تعاضد وتلازم بين مفهوم (الملّة)[٢] ومفهوم (الأمّة)[٣]، وهي الصورة التي أنشأها الإسلام في المجتمع الإسلامي الأول أيام رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وخلفائه الراشدين والقرون الثلاثة الأول، ثم لا زالت الخدوش تظهر بين المفهومين حتى وصل الأمر إلى الحالة التي نعيشها اليوم، حيث لم يبق من مفهوم الأمة سوى ذلك الارتباط الشعوري وبعض الصلات الثقافية والإغاثيّة، بينما حلّت في مجتمعاتنا قيم أخرى أسهمت بتفكيك مفهوم الأمة ووزّعته على عناوينه الفرعية قومية وإقليمية وقطرية وحزبية ومذهبية وقبلية وطبقية.

القيم المحورية الكلّية: في المنظومة القيمية هناك مرتكزات أساس تقوم عليها القيم الأخرى، وهذه المرتكزات تختلف من أمّة لأخرى بحسب ثقافة الأمة وأصولها النظرية

(١) ينظر دراسات في الضبط الاجتماعي، د فاروق محمد العادلي،ص٦٠.

(٢) وردت كلمة (ملة) في القرآن الكريم في أكثر من موضع، منها قوله تعالى: (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ، دينا قيما ملّة إبراهيم) الأنعام ١٦١، والسياق ظاهر في رسم هويّة هذه الأمة، وقد تأكد هذا بقوله في آية آخرى: (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين) الحج ٧٨، والملة: الدين، كما يقول المفسرون، ينظر تفسير ابن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف/ مصر.

(٣) وردت كلمة "أمّة" في القرآن الكريم في أكثر من موضع، منها قوله تعالى: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) المؤمنون ٥٢، و (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران ١١٠، قال ابن عطية الأندلسي: (فالإشارة بقوله "أمة" إلى أمّة محمد) تفسير ابن عطية ج٢ ص٣١٦، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ قطر٢٠٠٧، والربط في هذه الآيات كلها بين مفهوم الملّة ومفهوم الأمة ظاهر.

في الدين والكون والحياة، وحينما ننظر في منظومتنا الإسلامية تبرز بعض القيم كنقاط محورية تدور حولها بقيّة القيم، وهي:

أولاً: الرحمة، حيث جعلها القرآن غاية الغايات ونهاية قصد الرسالات ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١) وقد ورد في الحديث (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، قَالَ : " إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً(٢)".

وهي رحمة عامة للخلق كافّة حتى الحيوان والنبات والجماد، وشاملة لمفرداتها من سعادة وبهجة ورأفة وحب للخير، رحمة الإنسان بنفسه، ورحمته بأخيه الإنسان، ورحمته بكل مفردات الخلق من حوله، وهذه غاية النبوة والرسالة، وأصل الشريعة ومقصدها، يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام –رحمه الله–: (والشريعة كلها نصائح، إما بدرء مفاسد، أو بجلب مصالح)(٣) ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: (قاعدة: الحسنات تعلل بعلّتين: إحداهما ما تتضمنه من جلب المصلحة والمنفعة، والثانية: ما تتضمنه من دفع المفسدة والمضرّة، وكذلك السيئات تعلل بعلتين: إحداهما ما تتضمنه من المفسدة والمضرة، والثانية: ما تتضمنه من الصد عن

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) صحيح مسلم، رقم الحديث: ٤٧١٠.

(٣) القواعد الكبرى الموسوم بقواعد الأحكام في إصلاح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق نزيه كمال حماد وعثمان جمعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / قطر.

المنفعة والمصلحة)[1] وعلى هذا تكون هذه القيمة أعلى وأشمل من قيمة العدل، بل هي متضمنة لها بالضرورة.

ثانياً: العبادة، وهي غاية الخلق﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] والعبادة بمعناها الدقيق هي الخضوع والطاعة للشريعة التي أنزلها الله لتحقيق معاني الرحمة في الخلق، وهي مستلزمة للإيمان بالغيب، وللإقرار بأحقّية الشريعة وصلاحها، وقد جعلها الله غاية الخلق، يقول الإمام الطاهر بن عاشور –رحمه الله– : (واللام في "ليعبدون" لام العلّة، أي: ما خلقتهم لعلة إلا عبادتهم إيّاي). [3]

ثالثاً: العلم، وهو شرط العبادة، إذ العبادة هي الطاعة، ولا طاعة إلا بمعرفة الأمر، وقد حذّر القرآن من كل عبادة لا تكون بطريق العلم ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [4]، ولا يقتصر العلم هنا على معرفة نصوص الأمر، بل لا بد من معرفة الأرض والبيئة وطبيعة الإنسان وظرفه والمجتمع الذي يعيش فيه وكل ما من شأنه أن يساعد في تنزيل الحكم تنزيلا تتحقق فيه مقاصده وغاياته، وهناك في الشريعة أوامر كلّية لا تتحقق إلا بخبرة عميقة في الأرض

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج٢٠ ص١٩١، جمع عبد الرحمن بن محمد النجدي، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ١٤٠٤هـ.

(٢) سورة الذاريات ٥٦.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون/ تونس د ت.

(٤) سورة الكهف ١٠٤.

والحياة كالأمر بإعمار الكون وسدّ الحاجات الكفائية للناس، ولذلك يقول العز بن عبد السلام: (فمن المصالح والمفاسد ما يشترك في معرفته العامة والخاصّة، ومنها ما ينفرد بمعرفته الخاصّة)[١] ، ومن ثمّ كان الاجتهاد في هذه المسائل واجبا، واتباع المجتهدين فيها واجب كذلك، يقول إمام الحرمين الجويني في حقّ السلطان فضلا عن من دونه: (فأما إذا كان سلطان الزمان لا يبلغ مبلغ الاجتهاد، فالمتبوعون العلماء، والسلطان نجدتهم وشوكوتهم)[٢] وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله-: (وما لا يتم الواجب إلا به يجب على العبد فعله باتفاق المسلمين) [٣]. هذه القيم الثلاث مترابطة فيما بينها، والفصل بينها خطأ وخطر، فالعلم بلا رحمة ولا عبادة هو الذي جنح بالإنسان نحو أسلحة الدمار الشامل والفوضى الخلاقة وافتعال الأزمات المهلكة للمجتمعات البشرية، والعبادة بلا استحضار لمعاني الرحمة تحوّلت إلى أدوات للإرهاب الديني وقطيعة الرحم بين بني البشر، وهكذا.

(١) القواعد الكبرى، العز بن عبد السلام، ج١ ص٨٠.

(٢) غياث الأمم في التياث الظلم، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني، تحقيق الدكتور عبد العظيم الديب، ص٤٦٢، دار المنهاج، ط٤ ٢٠١٤.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج٢٠ ص ١٦٠، جمع عبد الرحمن بن محمد النجدي، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ١٤٠٤هـ

وحينما نقول عن هذه القيم إنها قيم محورية فإن سلّم درجات التقويم ينبغي يراعي هذه المقولة، فما قيمة القوّة المادّية الطاغية إذا كانت مجرّدة عن الرحمة؟ أو أنها تستهتر بمعاني الإيمان والأخلاق، أو أنّها تسخّر العلم في طريق السطوة والاستئثار وتكبح جماح المعرفة الإنسانية المتطلّعة دائما لما هو أسمى من الأرض وأوسع من الحسابات والولاءات العنصرية القاصرة.

ومن الجدير بالذكر هنا أن السورة الوحيدة التي ألزم الإسلام كل المسلمين بحفظها وتلاوتها في كل صلاة إنما هي سورة الفاتحة، والتي هي أمّ الكتاب، جاءت متضمنة ومؤكّدة لهذه القيم، وبهذا التسلسل أيضا، فبدأت بالتنبيه إلى الرحمة أربع مرات﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ إنها افتتاحيّة مليئة بالرحمة، يقرؤها الكبار والصغار، النساء والرجال، الأغنياء والفقراء، إنها التأكيد لصورة المجتمع الذي يريده الإسلام إنه باختصار: مجتمع الرحمة، بعد هذه الافتتاحية الرحيمة جاء التأكيد لإفراد الله في العبادة والطاعة والاستعانة (إياك نعبد وإياك نستعين) وهي قيمة متضمنة معنى العهد والصيغة الجماعية له، وفي كل هذا إشارات لا تخفى لدور العبادة في بناء المجتمع ووحدته وتماسكه, ثم يقّب مباشرة بالهداية الجماعية أيضا (اهدنا الصراط المستقيم) والهداية إنما هي العلم النافع المؤدّي إلى اتباع الحق والصراط

المستقيم، المتميّز عن طرق الغواية والجهل والضلال (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)[١].

إن تضمين هذه القيم وتأكيدها في أمّ الكتاب وتلاوتها وجوبا في كل صلاة، دليل مضاف على مدى التلازم بين الدين والقيم، بمعنى أننا نتكلم عن منظومة واحدة وليس عن منظومتين، وجدير هنا أن نشير إلى أن الإمام ابن القيم –رحمه الله–قد تنبّه إلى ما تضمنته هذه السورة من قواعد وأسس فقال: (اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمّهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمّن)[٢] وقد خصص كتابه الكبير "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" لتدبّر هذه السورة العظيمة والتقاط أسرارها ونفائسها.

القيم المحورية النسبيّة (قيم المجالات)[٣]:

بعد بيان الأسس العقدية والقيمية في هذه المنظومة لا بد من تحديد القيمة المحورية في كل مجال من مجالات الحياة المختلفة، أو نشاط ما من أنشطة الإنسان وتفاعلاته المتنوعة، حيث إن القيمة التي تحكم هذه الأنشطة تختلف بين نشاط ونشاط، وبين مؤسسة وأخرى، ولذلك لا يصح وضع معيار موحد لكل هذه

(١) الآيات من سورة الفاتحة.

(٢) مدارج السالكين، الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي/ بيروت ١٩٧٢

(٣) ينظر مدخل القيم، سيف الدين عبد الفتاح ص١٨.

الأنشطة، ولا النظر إلى المنظومة باعتبارها مقياسا موحدا لكل عمل أو نشاط، بل لا بد من فرز القيمة الأساس بحسب طبيعة العمل وهدفه الوظيفي، بحيث تكون القيم الأخرى تعمل في محيط القيمة الأساس، فالمدرسة مثلا قيمتها المحورية (التعليم) وعلى هذا نقيس مستوى نجاحها، أما العدل بين الطلاب والرأفة بهم ونظافة القاعات..إلخ فهذه قيم مطلوبة ولكنها تدور في فلك التعليم، والمؤسسة الإغاثية لها قيمة محورية وهي (الإغاثة) وبهذه القيمة نقيس نجاح هذه المؤسسة، وللجيش قيمة (القوة) وللشرطة قيمة (الأمن) وللمحكمة قيمة (العدل)، وللمستشفى قيمة (الصحة) وهكذا، ولو نظرنا إلى هذه القيم كمنظومة واحدة ومتساوية في جميع هذه المؤسسات فإننا سنقع في حالة من الإرباك في التقويم والحكم، لأنه ليس من الصحيح ولا المفيد بل ولا من العدل أن نقيس أداء المدرسة بالمعيار نفسه الذي نقيس به أداء المحكمة أو المستشفى أو مركز الشرطة.

إننا هنا نتكلم عن قيم محورية لكنها في مجال التخصص والعمل المؤسسي، وهي لا شك ستكون قابلة للقياس بشكل أدق من القيم الكلية، وفيها تحديد أكثر للمسؤوليات، فوزارة التعليم مثلا مسؤولة عن تحقيق قيمة التعليم في المجتمع، بينما مسؤولية الجيش بناء القوّة اللازمة لحماية البلاد، وهكذا حتى نصل إلى تحديد من المسؤول عن قيمة النظافة أو الفن والذوق العام، وما إلى ذلك، ومن هنا ظهرت مصطلحات تخصصية للقيم مثل: القيم السياسية، والقيم العسكرية، والقيم

الاقتصادية، والقيم الاجتماعية، والقيم التربوية، والقيم الدعوية، والقيم الجمالية..الخ.[١]

القيم المنبثقة من هويّة الأمّة وعقيدتها: كل أمة لها هويتها، كما أن لكل فرد اسمه وكيانه وخصوصيته الذاتية، إذ الهوية ليست سوى معرفة الذات بخصائصها ومكوّناتها التي تميّزها عن الآخر،[٢] والناس يلتقون في العمل والكسب والرغبة والشهوة والحاجة لكنّهم يتمايزون في الهويّة، والدولة التي هي شكل من أشكال إدارة المجتمع لنفسه وموارده لا يمكن أن تكون بمعزل عن هوية هذا المجتمع، من هنا كانت مسؤولية الدولة في المحافظة على الهويّة وحمايتها لا يقل عن مسؤوليتها في المحافظة على الأمن والاستقرار ومستلزمات العيش الكريم، وهنا لا بد من التطرّق إلى العناصر التي تتكوّن منها الهويّة في كل مجتمع والقيم المنبثقة من هذه العناصر كمعايير منضبطة لقياس أداء الدولة في هذا الجانب:

أولاً: الفكرة الجوهرية التي تشكّل محور الهويّة : فلكل هوية فكرة جوهرية تدور حولها، وتشكل عنصر الولاء والانتماء الأوّل في المجتمع، فالهوية القوميّة تدور حول

(١) ينظر المنظومة القيمية الإسلامية، مروان ابراهيم القيسي ص١٥-٢٠.

(٢) يقول أبو البقاء الكفوي في تعريفات دقيقة ونفيسة: (أن الأمر المتعقل من حيث إنه مقول في جواب ما هو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوتُه في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمى هوية) الكليّات، أبو البقاء الكفوي، ص٩٦١، تحقيق د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة/ بيروت ١٩٩٥ .

الفكرة القومية، وفيها يتناصر الناس ويوالي بعضهم بعضا، والهويّة القبلية تدور حول فكرة النسب وولاء القرابة، والهوية الدينيّة تدور حول المعتقد وآصرة التدين، وهكذا.

والدولة في وضعها الطبيعي هي بنت هذا المجتمع ولا يمكن أن تنفصل عنه، وبالتالي فهويّة الدولة امتداد لهوية المجتمع، ولا توجد دولة بيضاء بلا هويّة حتى مع ظهور فكرة الدولة المدنية أو العلمانية، وقد تكون الدولة في وضع حرج إذا كان المجتمع نفسه منقسما في انتماءاته.

في العالم الإسلامي لا زلنا في حراك وجدل حول علاقة الدولة بهويّة المجتمع، مع أن أغلب البلدان الإسلامية ليس فيها ذلك الانقسام، حيث يشكل المسلمون فيها الأغلبية الساحقة، وحقّ الأقليات مهما بلغ لا يصل إلى حد التحكّم في هوية المجتمع وتاريخه ولغته، وهذا هو العرف السائد في كل دول العالم.

إن تنصّل الدولة عن حماية هويّة المجتمع هو في الحقيقة ليس تنصّلا عن واجبها الديني والأخلاقي فقط، بل هو تنصّل عن مسؤوليتها تجاه المجتمع الذي انبثقت منه، يقول الجويني –رحمه الله– شارحا لهذه المسؤولية: (فالوجه والحالة هذه أن يبث فيهم دعاة الحق، ويتقدّم إلى المستقلين بالحقائق، حتى يسعوا في إزاحة الشبهات بالحجج البيّنات، ويتناهوا في بلوغ قصارى الغايات، وإيضاح الدلالات...ويدرؤوا أصحاب

الضلالات)[١] فإن لم يُجد البيان والحوار (فيتحتم على الإمام المبالغة في منعه ودفعه، وبذل كنه المجهود في ردّه ووزعه، فإنّ تركه على بدعته واستمراره في دعوته يخبط العقائد، ويخلط القواعد، ويجرّ المحن، ويثير الفتن)[٢]، أما الكلام عن حرية الفكر والتعبير والحوار فهذا مكفول في الإسلام بالقدر الذي لا يهدد وحدة الأمة وأمنها ووجودها، ولا توجد أمة تسمح بانتهاك دستورها ومصدر تكوينها ووحدتها.

ثانياً: التراث

فلكل أمة تراثها، وهذا التراث هو حصيلة التفاعل الثقافي والمعرفي مع محور الانتماء الأول والآصرة التي يلتقي حولها الناس، فإذا كان الوحي عندنا هو محور الانتماء الإسلامي وأساس الهوية الإسلامية، فإن كتب التفسير والفقه والاجتهادات المختلفة والمذاهب والخبرة المعرفية المتراكمة تشكل ذاكرة الأمة ووعيها بذاتها، ومن ثمّ فاحترام هذا التراث والتواصل معه من غير تقديس ولا تبخيس هو جزء من مسؤولية المجتمع ومسؤولية الدولة أيضا، "إن الأمم كافة تفتخر بتراثها، تدرسه وتقلبه على أوجه مختلفة، تعيش عليه وتستثمره، ليس هناك أمة تطرح على نفسها استبدال التراث بالحاضر، أو نفي التراث، أو نفي الحاضر" [٣]وهنا تبرز أهمية التمييز بين الإسلام

(١) غياث الأمم ص٣٣٥

(٢) غياث الأمم ص٣٢٩.

(٣) حوار حول التراث، د نعمان عبد الرزاق السامرائي، ص٣٤، كتاب الأمة/ قطر العدد ١٧٠.

كرسالة سماوية مقدّسة يخاطب الله بها خلقه مهما اختلفت أجيالهم وبين التراث الذي يحمل معنى الميراث،[1] أي: ما يتوارثه الأبناء عن آبائهم وأجدادهم من شروح وتفسيرات وخبرات بشرية مختلفة..الخ، يقول الدكتور محمد الجابري: (لقد أكدنا مراراً أننا لا نعتبر القرآن جزءاً من التراث، وهذا شيء نؤكده هنا من جديد. وفي الوقت نفسه نؤكد أيضاً ما سبق أن قلناه في مناسبات سابقة من أننا نعتبر جميع أنواع الفهم التي شيّدها علماء المسلمين لأنفسهم حول القرآن سواء كظاهرة قرآنية بالمعنى الذي حددناه هنا أو كأخبار وأوامر ونواه هي كلها تراث لأنها تنتمي إلى ما هو بشري)[2].

ثالثاً: التاريخ

فالتاريخ ليس قصصا وحكايات لواقع منفصل عن واقعنا، بل نحن امتداد له، وكل جيل إنما يشكّل حلقة في هذا التاريخ، وإذا كان التراث هو حصيلة التفاعل العلمي والمعرفي، فإن التاريخ هو حصيلة التفاعل العملي والحركي، إنه مخزون الخبرة الميدانية للأمة، ولما كانت تلك الحركة تدور في ضوء الهويّة كانت هذه الحركة امتدادا

(١) جاء في لسان العرب مادة (ورث): (التراث ما يخلفه الرجل لورثته)، وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: (كلّ ما خلّفه السَّلف من آثار علميّة وفنية وأدبيّة)، أحمد مختار عمر، ج٣ ص٢٤٢١، عالم الكتب/ بيروت ٢٠٠٨.

(٢) إلى القرآن الكريم، د محمد عابد الجابري ج١ ص٢٦، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط٢ ٢٠٠٧.

طبيعيا للهوية، والمنهج الذي نتعامل به مع التراث نتعامل به مع التاريخ أيضا، يقول الزعيم الهندي الشهير نهرو وهو يرسم معالم المستقبل لأمته: (خير مستقبل لنا ما كان قائما على الحاضر والماضي على السواء، أما أن نتنكر للماضي وننزع أنفسنا منه فمعناه اقتلاع أنفسنا من تربتنا فنخرج منها، وقد يبس عودنا وجفّ ما فيه من عصارة الحياة الحقّة)[1].

رابعاً: الرموز

في حركة الأمة وتراثها وتاريخها تظهر بعض الأسماء التي تتلقاها الأمة بالقبول ليكونوا بذلك جزءا من هويّتها ومنظومتها القيمية والتربويّة، وهؤلاء لم يعودوا ملك أنفسهم ولا أسرهم وذويهم بل هم ملك الأمة كلها، ومن ثمّ يكون احترامهم احتراما للأمة، والدفاع عنهم دافعا عن الأمة، خاصة أنهم لم يعودوا بيننا اليوم بأجسادهم فأصبحت دلالة أسمائهم على القيم المجرّدة أكثر من دلالتهم على ذواتهم، فالدفاع مثلا عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– وصلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح، أو أبي حنيفة والشافعي والبخاري وأحمد ليس دفاعا عن أشخاص بقدر ما هو دفاع عن الأمة ذاتها، وقد كان من منهجه –عليه الصلاة والسلام– إبراز رموز الأمة في مختلف مجالاتها، ليكونوا معالم يحتذى بها، وتعين على تصور المبادئ والقيم في رموز بشريّة ماثلة، ومن ذلك مثلا قوله –عليه الصلاة والسلام–: (لكل أمة أمين وأمين هذه

(١) التراث والهويّة، عبد العزيز التويجري، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة –إيسيسكو– ٢٠١١ .

الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[1] وقوله: (لا تؤذوا خالدا فإنه سيف من سيوف الله)[2]، ولا شك أن للصحابة –رضي الله عنهم– المنزلة الأسمى في هذا الشأن لأنهم مع رمزيتهم التي اكتسبوها بما قدموه من أعمال جليلة لا يدانيهم فيها أحد فإنهم أيضا نقلة القرآن ورواة السنّة وصحابة النبيّ –عليه الصلاة والسلام– الذين ربّاهم على يديه، وهم الجيل الأول المؤسس لهذه الأمة، ومن ثم كان الاعتزاز بهم علامة للانتماء الصحيح لهذا الدين ولهذه الأمة، كما أن الانتقاص منهم طعنا في الدين وطعنا في الأمة أيضا.

خامساً: الفن وطرائق التعبير الأخرى

إن اعتزاز الأمة بهويتها لا بد أن يظهر على شكل ملموس أو مسموع، وهذه الأشكال المعبّرة تكون بمرور الزمن جزءا من هويّة الأمة، ومثال ذلك عندنا نحن المسلمين زخرفة المصحف وستارة الكعبة والقبة الخضراء وقبة الصخرة ومآذن اسطنبول وأنشودة (طلع البدر علينا)، في كل دولة هناك عَلم وشعار ونشيد وطني ومنتخب رياضي ومجسّمات وتماثيل وأعياد ومناسبات تعبّر عن هوية الوطن أو المجتمع

(١) صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د مصطفى البغا، ج٤ ص١٥٩٢ رقم الحديث ٤١٢١، دار ابن كثير/ بيروت، ط٣ ١٩٨٧.

(٢) صحيح ابن حبان، الإمام محمد بن حبان التميمي البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ج١٥ ص٥٦٥، رقم الحديث ٧٠٩١. مؤسسة الرسالة/ بيروت ط٢ ١٩٩٣. وقد ورد تسميته بهذا في البخاري من رواية ابن عباس –رضي الله عنهما، صحيح البخاري رقم الحديث ٦٠٧٦.

أكثر من تعبيرها عن القيمة الفنّية أو الفكرية أو الرياضية ذاتها، والدولة لا تسمح بالمساس بهذه المعالم لأنه يشكل خطرا على أمنها القومي ووحدتها الوطنية أو المجتمعية.

إن هناك فرقا بين التعامل الفقهي الدقيق مع هذه الفنون، وبين التعامل معها على أنها معالم في هوية الأمة وتعبيرها عن ذاتها، فستارة الكعبة بالشكل الموجود اليوم قد لا يكون لها ميّزة دينية، لكن تعظيمها واستشعار هيبتها يعدّ جزءا من منظومتنا القيمية، وعليه فلابد من مراعاة هذه القيمة حتى في تربية الأولاد، والشيء نفسه يقال عن غلاف القرآن الكريم، ومآذن المسجد الحرام والمسجد النبوي.

ربما يفوت على كثير من المنشغلين في دقائق المسائل العلمية والفقهية أن مآذن اسطنبول مثلا كان لها دور في الحفاظ على الهوية الإسلامية لتلك المدينة الكبيرة أكثر بكثير من الكتب والبحوث التي كانت في مكتباتها.

سادساً: اللغة

صحيح أن اللغة في جانبها العلمي هي وعاء للمعاني ووسيلة لتبادل المعلومات ونقلها وحفظها، بيد أن هناك جوانب أخرى متصلة بهويّة الأمة، وإذا كانت اللغة وعاء للعلوم والأفكار فكونها وعاء لهويتها وأدواتها وعناصرها من باب أولى، ومن ثم لا يعرف في كل أمم الأرض استيراد لغة أخرى لتحل محلّ اللغة الأصيلة

حتى لو كانت اللغة الأخرى أقدر على استيعاب المعاني وأجمل في الأداء، والأمة التي تتنازل عن لغتها ستتنازل عن معالم شخصيتها الأخرى بالضرورة، واللغة العربية بالذات هي لغة القرآن يعني التنازل عن القرآن بالضرورة، ولا يعني هذا أن المجتمعات الإسلامية الأخرى عليها أن تتنازل عن لغاتها القومية لصالح العربية فالحفاظ على تنوّع اللغات كالحفاظ على تنوّع الأفكار، وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب، لكن العربية ليست لغة قوم فحسب، بل هي لغة دين وتاريخ وتراث يهم المسلمين على اختلاف قومياتهم، ويكفي في هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. (١)

القيم المتصلة ببناء الإنسان:

إن بناء الإنسان هو الحجر الأساس في بناء المجتمع والدولة، وحتى العلاقة بالخالق الكريم سبحانه وتعالى مبنية على هذا الأساس، فالإنسان المكلف بعبادة الله هو الإنسان العاقل القادر على تحمل أعباء التكليف، وهذا يعني أن بناء الإنسان مقدم على تكليفه بالعبادة التي هي أساس العلاقة بالله، ولبناء هذا الإنسان يمكن تصنيفه أولا إلى مكوناته الأساس: النفس وهي الجانب الإرادي والعاطفي، والعقل وهو الجانب الإدراكي والمعرفي، والجسد وهو الوعاء المادي:

(١) سورة يوسف ٢.

الجانب النفسي:

القيم المتصلة بهذا الجانب كثيرة جدا ويمكن تلخيصها وذكر نماذجها الأبرز في الآتي مع ذكر دليلها:

١- الكرامة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾. (١)

٢- قدرات الإنسان، وإمكانياته المتميّزة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾. (٢)

٣- الطموح المشروع وعلو الهمة، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. (٣)

٤- الأمن، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾. (٤)

٥- البهجة والانشراح، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾. (٥)

(١) سورة الإسراء ٧٠ .

(٢) سورة التين ٤ .

(٣) سورة الفرقان ٧٤ .

(٤) سورة النور ٥٥ .

(٥) سورة الشرح ١ .

٦- الأمل، ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾. (١)

٧- التزكية، والتربية الصالحة ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (٢)﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (٣)

٨- تحمل المسؤولية ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (٤)

الجانب العقلي:

وهو مناط التكليف وتحمّل المسؤولية، ويمكن تقسيم القيم المتصلة بهذا الجانب على ثلاثة محاور:

الأول: حريّة التفكير ورفع القيود والعقبات التي تحول دون ذلك، مثل الظلم والإكراه واتباع السلطة الحاكمة قال الله تعالى:

(١) سورة يوسف ٨٧ .
(٢) سورة الشمس ٧- ١٠ .
(٣) سورة الجمعة ٢ .
(٤) سورة الإسراء ١٥ .

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ (١).

ومثل التقليد لموروثات الآباء والأجداد:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(٢).

وكذا تعاطي المسكرات والمخدّرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣)

الثاني: المساعدة الخارجية في التعلّم النافع، ومن ثم جاء النهي عن كتمان العلم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ .إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٤)، ومثله التضليل والخداع ولبس الحقّ بالباطل ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٥).

(١) سورة الأحزاب ٦٧ .
(٢) سورة البقرة ١٧٠.
(٣) سورة المائدة ٩٠.
(٤) سورة البقرة ١٥٩- ١٦٠.
(٥) سورة البقرة ٤٢.

الثالث: التعلّم الذاتي ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [1] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[2] ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [3].

تجدر الإشارة هنا إلى أن الإسلام لا ينظر إلى العقل كقوة إدراك ذاتية منفصلة عن الوحي، إذ أن المعارف التي يشعر الإنسان بضرورة التوصل إليها تنقسم من حيث الجملة إلى مجالين:

المجال الأول: ما يقع تحت مدركات العقل البشري وأدواته الحسّية والماديّة كالطب والفيزياء والكيمياء وأنواع الصناعات والتجارات والحرف والفنون المختلفة.

المجال الثاني: ما لا يقع تحت مدركات العقل وأدواته، وهو الغيب الذي يقول العقل بضرورة وجوده بشكل أو بآخر ليفسر به نشأة الحياة مثلا لكنه لا يمتلك الأدوات اللازمة لمعرفته كما هو، من هنا يأتي دور الوحي في توجيه العقل ومدّه بأسباب المعرفة المطلوبة، الوحي الذي يحمل في داخله براهين صدقه، وهذه البراهين مدركة بالنسبة للعقل، ويستطيع التمييز بها بين الوحي الصحيح وبين الأساطير والخرافات الموهومة.

(١) سورة طه ١١٤ .

(٢) سورة الزمر ١٨ .

(٣) سورة آل عمران ١٩١ .

إن إغفال الحضارة الغربية المعاصرة لهذا الجانب جعل الإنسان يعيش الحياة للحياة بمحدودية المحسوس من العمر المادي مع إغفال صوت الفطرة الذي يسعى للخلود بشكل أو بآخر ولا يريد أن يستسلم للفناء، وكان لهذا الإغفال الأثر السيئ في ترسيخ القيم المادّية والنزعة الفردية التي تحمل الكثير من القطيعة والمظالم المختلفة إضافة إلى الشقاء الذاتي والشعور بالنهايات غير السعيدة لهذه الحياة.

الجانب الجسدي:

الجسد وعاء العقل والنفس، وهو الأداة التي يتحركان بها، ومن ثمّ كان الاهتمام به لا ينفك عن الاهتمام بهما، ولذلك جاءت القيم الجسديّة مكمّلة لتلك القيم ومتصلة بها، ومن أهمّها وأبرزها:

١- القوّة،﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (١) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٠) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٢) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٥) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٦) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٧) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٨) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٠) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢١) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٢) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٣) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٤) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٥) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٦) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٧) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٨) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٩) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٠) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣١) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٢) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٣) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٤) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٥) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٦) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٧) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٨) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٩) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٠) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤١) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٢) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٣) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٤) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٥) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٦) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٧) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٨) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٩) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٠) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥١) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٢) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٣) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٤) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٥) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٧) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٨) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٩) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٠) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦١) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٢) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٣) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٤) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٥) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٦) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٧) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٨) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٠) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧١) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٢) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٣) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٤) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٥) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٦) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٧) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٨) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٩) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٠) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨١) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٢) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٣) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٤) ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٥)

كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [١] و﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [٢] و﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [٣] و ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ [٤].

٣- الدواء والمحافظة على الصحة، ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥]﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ [٦].

٤- النظافة، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [٧]﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[٨]﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [٩].

(١) سورة المؤمنون ١٩ – ٢١ .
(٢) سورة النحل ١١٤ .
(٣) سورة فاطر ١٢ .
(٤) سورة المرسلات ٢٧ .
(٥) سورة النحل ٦٩ .
(٦) سورة البقرة ٢٢٢
(٧) سورة المدثر ٤ .
(٨) سورة التوبة ١٠٨ .
(٩) سورة البقرة ١٢٥ .

٥- الزينة،﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [١]﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[٢].

٦- الراحة والسكون،﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾[٣] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُون . وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٤] ،وقد أشار النبيّ -صلى الله عليه وسلم- إلى ضرورة مراعاة هذه القيم كلها في إطار من التوازن مع القيم الأخرى بقوله: (فإن لجسدك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا)[٥] زاد البيهقي (وإن لزوجتك عليك حقا).[٦]

(١) سورة الأعراف ٣١- ٣٢ .

(٢) سورة فاطر ١٢.

(٣) سورة النبأ ٩- ١٠ .

(٤) سورة القصص ٧٢ – ٧٣ .

(٥) صحيح ابن حبان، ج٨ ص٤٠٠، رقم الحديث ٣٦٣٨.

(٦) سنن النسائي الكبرى، الإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، ج٢ ص ١٧٥، رقم الحديث ٢٩٢٢.دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١ ١٩٩١.

تجدر الإشارة هنا أن هذه القيم وإن بدت إنسانية فردية إلا أن مسؤولية غرسها ومراعاتها وضبط السلوك بميزانها مسؤولية يشترك فيها الفرد والجماعة والأسرة والدولة، وكل بحسب قدرته وموقعه (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[1]

القيم الاجتماعيّة والتواصلية:

الإنسان اجتماعيّ بطبعه، وهو غير قادر على العيش منفردا ومنعزلا عن بني جنسه مهما كانت نظرته إليهم ومهما كان مستغنيا بما يملك من مال ومتاع، ومن هنا يأتي دور القيم الاجتماعيّة التي تنظّم هذه العلاقات، ومن أهمها:

١- الاحترام، ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [2] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [3] ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ . أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾. [4]

٢- التكافل والتراحم،﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾. [5]

(١) صحيح البخاري ج١ ص٢٠٤، رقم الحديث ٨٥٣.

(٢) سورة الضحى ٩ ١٠ .

(٣) سورة البقرة ٢٦٣- ٢٦٤ .

(٤) سورة عبس ١-٤ .

(٥) سورة الإنسان ٨ — ٩.

٣- برّ الوالدين، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. (١)

٤- المودة بين الزوجين، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (٢)

٥- تربية الأولاد، ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ (٣)

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾(٤)

٦- صلة الأرحام، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٥) .

٧- حسن الجوار، ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾(٦).

(١) سورة الإسراء ٢٣- ٢٤ .

(٢) سورة الروم ٢١ .

(٣) سورة البقرة ٢٣٣.

(٤) سورة لقمان ١٧ – ١٩ .

(٥) سورة محمد ٢٢.

(٦) سورة النساء ٣٦ .

٨- الأخوّة والصحبة النافعة، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [١]

﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾ [٢] .

٩- التواصل والتعارف، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [٣]

إلى جانب هذه القيم فقد حرّم الإسلام كل سلوك يؤدّي بالضرر إلى هذه العلاقة ويخالف هذه القيم، كالكذب والغيبة والنميمة والمسارعة في نقل الإشاعات، وهكذا.

وقد جمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-هذه القيم في حديثه الجامع: (إن أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، وأبغضكم إلى الله المشّاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبّة)[٤]

القيم السياسيّة:

وهذه الألصق ببناء الدولة ومسؤولياتها المباشرة، وأدناه القيم الأبرز والأهم في هذا المجال:

(١) سورة الحجرات ١٠ .

(٢) سورة الأنعام ٧١ .

(٣) سورة الحجرات ١٣ .

(٤) المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله و عبد المحسن الحسيني، ج٧ ص٢٥٠، رقم الحديث ٧٦٩٧، دار الحرمين/ القاهرة، ١٤١٥هـ.ونحوه بألفاظ أخرى في مصنف عبد الرزاق، الإمام أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ج١١ ص١٤٤، رقم الحديث ٢٠١٥٣.المكتب الإسلامي/ بيروت ١٤٠٣ هـ.

١- العدل، ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١)

٢- الشورى، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (٢)

٣- الوحدة،﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (٣)،﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤) .

٤- إعداد القوّة، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (٥)

٥- الوفاء بالالتزامات والعهود، ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٦) .

القيم الاقتصادية:

وهي القيم التي تنظّم علاقة المجتمع والدولة والفرد بالموارد الاقتصاديّة والتعاملات المالية، ومنها:

(١) سورة المائدة ٤٢ .

(٢) سورة الشورى ٣٨ .

(٣) سورة الأنبياء ٩٢ .

(٤) سورة الأنفال ٤٦ .

(٥) سورة الأنفال ٦٠ .

(٦) سورة التوبة ٤ .

١- العمل لإعمار الأرض وطلب الرزق وتنمية الموارد، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾[١]،﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾[٢].

٢- المحافظة على الموارد،﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[٣] ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[٤].

٣- حفظ الأمانة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[٥]

٤- توثيق الحقوق المالية، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾[٦]

٥- حقوق الشركاء، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾[٧]

(١) سورة يوسف ٤٧ .

(٢) سورة سبأ ١٠ – ١١ .

(٣) سورة الأعراف ٣١ .

(٤) سورة الإسراء ٢٦ — ٢٧ .

(٥) سورة النساء ٥٨ .

(٦) سورة البقرة ٢٨٢ .

(٧) سورة ص ٢٤ .

٦- الميزان،﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (١)

٧- الوصية بالحق، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ . فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢)

إلى جانب هذه القيم حرّم الإسلام كل معاملة تؤدّي إلى الظلم والضرر كالغش والربا والاحتكار، وما إلى ذلك.

المسؤولية المشتركة بين الدولة والمجتمع: المنظومة القيمية بأسسها الإيمانية والعقديّة ليست أحكاما تخصصية، أو اجتهادات علمية فذلك شأن العلماء والفقهاء والخبراء، كما أنها ليست قرارات قياديّة أو إدارية فذلك شأن الحكومة التنفيذية وأولياء الأمور وأصحاب السلطات والمسؤوليات، إنها أرفع من كل ذلك وأبسط في الوقت ذاته، إنها المعايير الكلية التي يحكم بها المجتمع على سلوك الدولة والحكومة وأصحاب الوظائف والتخصصات حكما كليا، فيفرّقون به بين الحاكم العادل والحاكم الظالم، وبين المفتي التقيّ والمفتي الماجن، وبين الطبيب الناجح والطبيب الفاشل، والقائد الشجاع والقائد الجبان، وكم نجح في هذا المعيار أقوام فكانوا نجوما في سماء الأمة،

(١) سورة المطففين ١- ٣ .

(٢) سورة البقرة ١٨٠ – ١٨١ .

وكم هوى فيه آخرون، حتى الجاهلية سما فيها عنترة عنوان الشجاعة، وحاتم الطائي عنوان الكرم، وامرؤ القيس عنوان الفصاحة والبيان، وهذه كلها قيم مجتمعية تجسّدت في هؤلاء، إنها حكم المجتمع وليس حكم السلطان ولا الشهادة الجامعية، والمجتمع إنما يبني نفسه ويربّي ناشئته وفق هذه القيم بوضوح وبساطة يدركها الصغير والكبير، وحينما تضيع هذه المعايير فإن المجتمع يفقد بوصلته، ويبقى ينتظر أمر السلطان وفتوى المفتين في أبسط الأمور مما يجعله خاضعا للعبة السياسة وتجاذب المصالح والتضليل الإعلامي.

أما الدولة فإن رعاية هذه القيم وغرسها في نفوس الأجيال يُعدّ الفيصل الأول والأهم بين الدولة الراشدة التي تشعر بثقل الأمانة تجاه شعبها ومجتمعها وبين الدولة التي لا تنظر إلى شعبها إلا كجزء من مواردها وأداة من أدوات الإنتاج لديها.

إن المجتمعات وكذلك الدول تمرّ بمراحل مختلفة؛ الصحة والمرض، القوة والضعف، وفي بعض الأحيان يكون المجتمع قويا بمبادئه وقيمه وتماسكه، لكنّ إطاره السياسي ضعيف ويتعرّض للنكسات، وهنا يأتي دور المجتمع، كما فعل العز بن عبد السلام ومعه علماء الأمة ووجهاؤها في تصحيح الدولة ودعمها حتى وقفت بجدارة أمام المغول، أما إذا كان العكس فهنا تبرز وتتأكد مسؤولية الدولة في بناء مجتمعها وتقويته ورفع مستوى شعبها وتوعيته بحقوقه وواجباته، ورأس الزاوية في كل هذا بناء المعايير الكلية التي توحّد الرأي العام وتصون الهويّة المجتمعية، وهذا ما يفعله القادة الروّاد، وفي

مقدّمتهم الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام- الذين يجعلون هذه القضية من أولى مسؤولياتهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[1] ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[2] إن بناء القيم هدف كبير لا تنهض به إلا الدولة بكل مؤسساتها والمجتمع بكل فعالياته، ومن الناحية العملية لا بد لكل مؤسسة حكومية أو مجتمعية أن تضع لها منظومة حاكمة من القيم بأدوات قابلة للتحقق والقياس مع الأخذ بنظر الاعتبار الفوارق الطبيعية بين كل مؤسسة وأخرى، فالمؤسسة العسكرية تختلف عن المؤسسة السياسية، والمؤسسة الصحية تختلف عن المؤسسة التربوية أو التعليمية، وهكذا، وهذه الفوارق ينبغي أن تفهم بمستوى الإطار التخصصي دون التأثير على وحدة المنظومة القيمية للمجتمع في إطارها الكلي.

الخاتمة وأهم النتائج: تعدّ المنظومة العقدية والقيمية الأساس الذي تتشكل عليه الأمة المسلمة بكل أبعادها الثقافية والسياسيّة والاقتصادية والتربوية، وقد اقترنت المبادئ العقدية بالمبادئ القيمية منذ اللحظات الأولى لنزول الوحي، اقتراناً تمازجياً لا يمكن فيه تصور للفصل أو التمايز.

(١) سورة إبراهيم ٤.

(٢) سورة الجمعة ٢ .

تعد المنظومة العقدية والقيمية المعيار الكلّي الذي يحكم به المجتمع على سلوك الدولة وأجهزتها وموظفيها، كما هو معيار لسلوك المجتمع نفسه أفرادا وأحزابا وجماعات، هذا المعيار الذي يتسم عادة بالوضوح والبساطة لأنه لا يُعنى بالأداء التخصصي الدقيق، إنه يراقب الأداء العام، والنتائج الظاهرة، إنه المجتمع الواعي الذي يميّز بين الحاكم العادل والمستبد الظالم، وبين المفتي الصادق والمدعي المنافق، وبين الطبيب والمهندس والمعلم المتقن وبين الآخر المهمل، وبناء على هذا يتدخل لحماية نفسه بوسائله المجتمعية وأدواته السياسية في الاختيار والانتخاب، وما إلى ذلك.

تتكون المنظومة العقدية والقيمية من أربعة مستويات:

المستوى الأول: الأسس المنبثقة من هويّة المجتمع، وآصرته الكلّية التي يجتمع حولها، وهي التي يمكن تسميتها بالقيم الإيمانية.

المستوى الثاني: القيم المحورية الكلية، وهي الأساس الذي تبنى عليه كلّ القيم، مثل الرحمة والعبادة والعلم.

المستوى الثالث: القيم المحورية النسبية، وهي التي تكون أساسا لمجموعة من القيم تتعلق في مجال محدد، مثل قيمة القوّة بالنسبة للجيش، وقيمة العدل بالنسبة للقضاء، وهي التي تسمّى بقيم المجالات.

المستوى الرابع: القيم الفرعية، وهي التي تتعلق بالسلوكيات التفصيلية كالرياضة والفن والأخلاق التواصلية ونحوها.

تشكل المنظومة العقدية والقيمية أيضا وحدة النسيج المجتمعي ونظرته للدين والكون والحياة، وتصوغ أيضا أهدافه الكلّية التي يلتقي حولها ويناضل من أجلها، وهي كذلك تضبط العلاقة بين الدولة والمجتمع، إضافة إلى إمكانية التنبؤ بسلوك المجتمع وردّة فعله إزاء أي قرار أو حدث طارئ.

وهي كذلك مؤشّر على مستوى الوعي العام للمجتمع، وطموحه، وأهدافه، ونمط علاقاته، وكذلك تشكل الدافعية الذاتية والجمعية للتغيير، فليست هناك حركة تحررية مهما اختلفت أساليبها إلا ولها رصيد متفق عليه من القيم المحرّكة.

من هنا تكون المنظومة العقدية والقيمية أوسع وأشمل من الأحكام التخصصية أو معايير الجودة الوظيفية التي تركز على الجانب الإجرائي أو الإداري، كما أنها متاحة لدى عامّة المجتمع وهي بذلك تتكامل مع المعايير العلمية الدقيقة التي تكون في العادة خاصة للمهنيين وأصحاب الاختصاص، وهذا التكامل بين الرأي العام والخبرة الخاصة هو الذي يشكل أداة النهوض المنشود.

*****

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم:

- الأحكام السلطانية، علي بن محمد البصري البغدادي الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٩٨٥.
- الاستخلاف والتركيب الاجتماعي في الاسلام، د عبد الجبار السبهاني، دار وائل/عمّان ٢٠٠٣.
- التراث والهويّة، عبد العزيز التويجري، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو- ٢٠١١.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر/تونس، د ت .
- تفسير ابن عطية، المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الإمام عبد الحق بن عطية الأندلسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ قطر٢٠٠٧.
- تفسير الطبري، المسمى "جامع البيان في تفسير آي القرآن"،الإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف/ مصر، د ت.
- تفسير القرآن العظيم، الإمام اسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق مصطفى السيد وآخرين، ط١ دار عالم الكتب، الرياض.
- الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة ص٤٨٩، د حسن محمد عيسى عبد الظاهر وآخرون، جامعة قطر ٢٠٠٦ ط٢.
- حوار حول التراث، د نعمان عبد الرزاق السامرائي، كتاب الأمة/ قطر العدد ١٧٠.
- دراسات في الرأي العام مقاربة سياسية، د حامد عبد الماجد، مكتبة الشروق الدولية، ط١، ٢٠٠٣.

- دراسات في الضبط الاجتماعي، د فاروق محمد العادلي، دار الكتاب الجامعي/ القاهرة ١٩٨٥.
- دراسات في العقيدة الإسلامية، عبد الحميد مدكور، دار الثقافة العربية ٢٠٠٠.
- دليل التدريب القيادي، د هشام يحيى الطالب، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥.
- سنن النسائي الكبرى، الإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، ١٩٩١.
- شرح الطحاوية، صدر الدين علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق أحمد محمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف/ السعودية، ١٤١٨ هـ. دار البيارق/ بيروت، ١٩٧٧.
- صحيح ابن حبان، الإمام محمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة/ بيروت ط٢، ١٩٩٣ .
- صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى البغا، دار ابن كثير/ بيروت، ط٣، ١٩٨٧.
- صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، د ت.
- العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، محمد عياش الكبيسي، دار الحسام/ بغداد ١٩٩٥.
- علم النفس الاجتماعي، فؤاد البهي السيد، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٤.

- غياث الأمم في التياث الظلم، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني، تحقيق الدكتور عبد العظيم الديب، دار المنهاج، ط٤، ٢٠١٤.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / قطر ٢٠٠٧.
- فلسفة التربية الإسلاميّة، ماجد عرسان الكيلاني، دار المنارة/ جدّة، ط١، د ت.
- القواعد الكبرى الموسوم بقواعد الأحكام في إصلاح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق نزيه كمال حماد و عثمان جمعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / قطر.
- الكليّات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق د عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة/ بيروت ١٩٩٥.
- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، دار عالم الكتب/ الرياض ٢٠٠٣.
- المبادئ الأساسية للعلاقات الدولية، د سعيد محمد باناجة، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٩٨٥.
- مبادئ علم السياسة، د نظام بركات، و دعثمان الروّاف، ود محمد الحلوة، مكتبة العبيكان/ الرياض، ١٩٩٩.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد النجدي، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ١٤٠٤هـ.
- المحكم في العقيدة، محمد عياش الكبيسي ط١، أعلام للفكر والثقافة/ قطر.

- مدارج السالكين، الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي/بيروت ١٩٧٢.
- مدخل إلى القرآن الكريم، د محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط٢ ،٢٠٠٧.
- مدخل القيم: الإشكالية ومحاولة التأصيل، سيف الدين عبد الفتاح، مجلة المسلم المعاصر، مج٢٣ ع٨٩ ١٩٩٨.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة/ مصر د ت.
- مصنف عبد الرزاق، الإمام أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي/ بيروت ١٤٠٣هـ.
- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله و عبد المحسن الحسيني، دار الحرمين/ القاهرة، ١٤١٥هـ.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب/ بيروت ٢٠٠٨ .
- المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم، مروان ابراهيم القيسي، دورية دراسات العلوم الإنسانية/ الأردن،مج٢٢ ع٦.
- موسوعة نضرة النعيم، صالح بن حميد و عبد الرحمن ملوّح، ط٥، دار الوسيلة/ جدّة.